مجلة عيون المسائل-Oyunul
Mesail Journal
Vol 1. No. 1,
العدد 1 مجلد 1 30- 06 -2023
DOI: 10.5281/zenodo.10691161

دور الأخلاق وارتباطها بالمعاملات المالية المصرفية الإسلامية وأثرها في تمويل المشروعات الصغيرة

The role of ethics in Islamic banking finance and its impact on small projects' financing

د. المقداد علي أحمد الشامي
Kolej Yayasan Pahang
Meqdad@kyp.edu.my

الملخص:

يتناول المقال دور الأخلاق في المصارف الإسلامية وتأثيرها على تمويل المشروعات الصغيرة. يسلط الباحث الضوء على أهمية الرقابة الأخلاقية الذاتية في تحسين خدمات التمويل لشرائح الدخل المنخفض. يستعرض المفهوم الشامل لتمويل المشروعات الصغيرة ويبرز دور مؤسسات التمويل الأصغر في تلبية احتياجات الفقراء. يُسلط المقال الضوء على الشفافية والعدالة في تقديم الخدمات المالية، مع التركيز على المبادئ الأخلاقية الإسلامية. يطرح الباحث تساؤلات حول التزام المؤسسات بتلك القيم في ظل غياب التشريعات ويشدد على أهمية تحفيز القطاع لتعزيز التنمية المستدامة.

الكلمات المفتاحية: الأخلاق، المعاملات المصرفية الإسلامية، التمويل، المشروعات الصغيرة.

Abstract:

The article discusses the role of ethics in Islamic banking and its impact on financing small projects. The researcher emphasizes the importance of self-ethical regulation in Islamic banks to enhance financial services for low-income individuals. The comprehensive concept of financing small projects is outlined, highlighting the role of microfinance institutions in meeting the needs of the poor. The article focuses on transparency and justice in providing financial services, with an emphasis on Islamic ethical principles. The researcher raises questions about institutions' commitment to these values in the absence of legislation, underscoring the importance of incentivizing the sector to promote sustainable development.

Keywords: Ethics, Islamic Finance, Financing, Small Projects

المقدمة

للأخلاق دور كبير في حياة المجتمع المسلم في جميع المجالات فقد كانت رسالة النبي صلى الله عليه وسلم تتميماً لمكارم الأخلاق، وهي في مجال المعاملات المصرفية التمويلية أكثر. حيث تكمن المشكلة في كون هذه التمويلات موجهة إلى شريحة مجتمعية ذات دخل محدود أو معدوم، فالمصارف الإسلامية تقدم خدماتها التمويلية إلى هذه الشريحة تحت رقابة قانونية شكلية، فلا بد من إحياء الرقابة الأخلاقية الذاتية في المصارف الإسلامية، والمصارف بهذا الدور تمثل الوجه المشرق للمالية الإسلامية، وأي خطأ أخلاقي أو تساهل فيه ينعكس سلبا على النظرة الكلية للمالية الإسلامية، والسؤال المنهجي الذي يتبارد للذهن هل يجب على المؤسسات التمويلية الإسلامية الالتزام الكامل بالأخلاقيات الإسلامية التي لا تعد ملزمة في القانون، وكذلك ما هي ما هي أهم الأخلاق التي يجب على مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية الالتزام بها.

وهدفت هذه المقالة إلى تسليط الضوء على قضية مهمة وحساسة لم تأخذ حظها من البحث والتطبيق، والتي هي قضية تفعيل دور الأخلاق في عمليات التمويل الأصغر المصرفية في المؤسسات المالية الإسلامية، وأيضا التركيز على أهم الأخلاقيات الإسلامية التي لا يجوز لأي مؤسسة تمويلية تجاوزها، وهي بذلك تعد تمهيدا لتقنين أهم الأخلاقيات الإسلامية لتصبح قوانين ملزمة لمؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية. وقد نبعت أهمية هذا الموضوع من كونه يركز على المساهمة في تطوير مؤسسات التمويل الأصغر، والمحافظة على حقوق المستفيدين من التمويل الأصغر، حيث تتضاعف أهمية الأخلاق الإسلامية بازدياد المؤسسات التمويلية وتوسعها، وانتشارها العالمي حتى أصبحت من أهم القطاعات الاقتصادية. واعتمد الباحث في هذه الورقة العلمية على المنهج الوصفي لتحديد مشكلة الدراسة، والإجابة على تساؤلاتها، والسعي لإيجاد حلول لها، حيث يعد هذا المنهج من المناهج المفيدة لمثل هذه المواضيع النظرية. وقد تطرقت هذه الورقة إلى العلاقة الوطيدة بين الأخلاق الإسلامية والمعاملات المالية والمصرفية التمويلية، وكذلك إلى مفهوم تمويل المشروعات الصغيرة، والتركيز على الشريحة الاجتماعية المستفيدة من التمويل الأصغر، وتسليط الضوء على أهم المبادئ الأساسية للتمويل الأصغر، وإبراز أهم الأخلاقيات التي يجب أن تلتزم بها مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية، ثم الخلاصة وأهم المقترحات والتوصيات.

العلاقة الوطيدة بين الأخلاق والمعاملات المالية والمصرفية:

ترتبط الأخلاق بالمعاملات المالية والمصرفية ارتباطاً جوهريا، لا انفكاك فيه، فالأخلاق مسألة جوهرية في الإسلام فهي ملزمة لكل مسلم للتعامل بها، وليس له الخيار في تركها أو تأجيلها.

وقد ربط الإسلام المال والاقتصاد بالإيمان والأخلاق وجعله من مقاصد الشريعة الأساسية – فيما يتعلَّق بالمال أو بالاقتصاد – ربطه بأصلين كبيرين: أولهما: ربطه بالإيمان بالله وبالمعاني الربانية، وبهذا تمتزج المادة بالرُّوح، والدنيا بالآخرة، والخلق

بالخالق، وثانيهما: ربطه بالقيم والأخلاق، حتى لا يسير الاقتصاد سائبا، يتَّبع الهوى، ويسعى وراء المنفعة، وإن كان وراؤها شرٌّ خطير، وإثم كبير على الناس.[1]

والشريعة الإسلامية تشمل العبادات والمعاملات والأخلاق، ولكل من هذه الأقسام أحكامه وضوابطه الخاصة، ولكنها في الجملة تهدف إلى هدف واحد وهو الهدف ذاته الذي صرّح به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق". فالعبادات والمعاملات والأخلاق كلها تهدف إلى مرضاة الله، وكلها وسيلة للحد والنهي عن الفحشاء والمنكر والفساد بكل أنواعه.

والأخلاق في المعاملات المالية والمصرفية ليست قضية فلسفية نظرية، بل هي قضية سلوكية واقعية تدخل في جميع العقود والمعاملات وتحتاج إلى مراعاة لجوانبها في صياغة تلك العقود والمعاملات، وإلى مراعاتها ومراقبتها ذاتياً وقضائيا.

مفهوم تمويل المشروعات الصغيرة:

يعرف التمويل الأصغر بأنه تقديم خدمات مالية مثل الإقراض والإذخار والتأمين للفقراء ولذوي الدخل المنخفض عبر آليات إقراض مختلفة بما في ذلك بدائل الضمانات، فمفهوم التمويل الأصغر يشمل الإقراض والإذخار والتأمين، وهو بهذا يعتبر أكثر شمولا من مفهوم الإقراض الأصغر، فالإقراض والإذخار والتأمين كلها خدمات تسعى لتحسين مستوى دخل الفقراء.[2]

الشريحة الاجتماعية المستفيدة من التمويل الأصغر:

تفضل القطاعات المصرفية التجارية تعاملاتها المالية مع قطاعات السوق الأغنى، وذلك لقلة المخاطرة وزيادة الأرباح وضمانها، وبناءً على ذلك تُحرم شريحة الفقراء ومحدودي الدخل من هذا النوع من التعاملات، ومن هنا يظهر أهمية ودور مؤسسات التمويل الأصغر حيث تتجلى هذه الأهمية في النقاط التالية:

- أنها تركز أنشطتها على الفقراء من ذوي الدخل المنخفض، والذين يفتقرون إلى إمكانية الوصول إلى المؤسسات المالية والتجارية.
- تقدم مؤسسات التمويل الأصغر برامج إقراض تلائم عملائها من الفقراء ومحدودي الدخل.
- تشجع مؤسسات التمويل الأصغر عملائها على الإذخار الطوعي المأمون، بحيث تستقبل الودائع الصغيرة وتوفر سهولة الحصول على الأموال المودعة.

1. يوسف القرضاوي، مقاصد الشريعة المتعلقة بالمال، بحث مقدم للدورة الثامنة عشرة للمجلس، دبلن، جمادى الثانية/ رجب 1429 هـ / يوليو 2008م.

2 تقييم الأداء المؤسسي لمؤسسات التمويل الأصغر في اليمن بالتطبيق على مؤسسات التمويل الأصغر في محافظة صنعاء وعدن وتعز وحضرموت والحديدة في الفترة 1997م – 2006 م. رسالة ماجستير

- تطور مؤسسات التمويل الأصغر عملائها من خلال تقديم خدمات التدريب والتأهيل المجاني، وكذلك الاستشارات في المجالات الإدارية، وغيرها من الخدمات.[1]

من خلال النقاط السابقة يتضح لنا أهمية هذه المؤسسات وأنها تقوم على سد الفجوة التمويلية بين شرائح المجتمع.

المبادئ الأساسية للتمويل الأصغر:[2]

هناك جملة من المبادئ العامة التي تنظم سير عمليات التمويل الأصغر وذلك في سبيل الحصول على أفضل نتيجة، ومن أهم هذه المبادئ:

- عدم اقتصار عمليات التمويل الأصغر على الاقتراض، بل يجب أن يتعداه إلى الإذخار والتأمين، وكذلك خدمات التحويلات المالية لتلك المدخرات بالإضافة إلى تفعيل الجانب الائتماني.
- يجب أن تدرس مؤسسات التمويل الأصغر التكاليف والنفقات التشغيلية دراسة دقيقة، وذلك في سبيل تغطية الرسوم والنفقات، وإلا فإن أي خطأ في ذلك سيودي بحياة تلك المؤسسات، ولن تقدر على تقديم خدماتها للمحتاجين.
- يجب على مؤسسات التمويل الأصغر الاندماج في النظام المالي في البلدان التي تعمل في إطارها.
- يجب على الحكومات تهيئة البيئة التشريعية وتقديم التسهيلات لمؤسسات التمويل الأصغر لأداء مهامها التي عجزت عنه الدولة.

أهم الأخلاقيات التي يجب أن تلتزم بها مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية:[3]

تشترك مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية مع غيرها من المؤسسات المصرفية الأخرى في السعي إلى تحقيق الأرباح والعوائد، ولكن ما يميز مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية أنها لا تهدف فقط إلى تحقيق أعلى معدل من العوائد والأرباح، بل أنها تسعى إلى تحسين حياة الفقراء والعمل على خدمتهم، وتدريبهم وتأهيلهم، كل هذا في ضوء مجموعة من الموجهات الأخلاقية التي تحكم عمل مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية، ومن أهم هذه الأسس:

1. **الحيادية في التعامل**

[1] براندسما، جوديت، التمويل الأصغر في البلدان العربية دراسة معدة لصالح صندوق الأمم المتحدة لتنمية رأس المال الولايات المتحدة الأمريكية 2004 ص7.

[2] تنمية التمويل الأصغر الإسلامي التحديات والمبادرات (الورقة الثانية من حوار السياسات) المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب عضو مجموعة البنك الإسلامي للتنمية. ص15.

[3] التميمي، هاني يحيى. 2012. الأخلاقيات المهنية في مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية. مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، مج. 2012، ع.8، 221-244. https://search.emarefa.net/detail/BIM-306536.

يجب أن تبقى مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية مؤسسات محايدة في تقديم خدماتها للفقراء، فلا تخضع للمصالح الشخصية، ولا تنظر إلى الضغوط الاجتماعية، فهذه المؤسسات تقدم خدمات إنسانية، وهذا الخلق هو خلق جوهري، وخاصة في ظل ازدياد شريحة الفقراء وطالبي القروض في ظروف اقتصادية وصحية عالمية تأثرت منها جميع فئات المجتمع.

2. **المحافظة على خصوصية العملاء**

تختلف ظروف المتقدمين لطلب خدمات مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية عن غيرهم من طالبي خدمات المصارف العامة، وذلك أن الشريحة الأولى تضطر إلى مكاشفة الجهات المختصة بالتمويل بدوافع طلبهم للخدمة، وقد تكون تلك الظروف الخاصة تتصف بأعلى درجات الخصوصية والسرية، ويعد المحافظة على أسرار العملاء الحساسة التي يجبر القانون تلك المؤسسات على المحافظة عليها، وإفشاؤه يعد من باب: " خيانة الأمانة" والمحافظة عليه من الأمور التي شجعت عليها الشريعة الإسلامية.

3. **المشاركة المجتمعية الفاعلة:**

من أهم أهداف مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية هو خدمة المجتمع، وذلك يتطلب الحرص على رضا العملاء، ولا يتم ذلك إلا من خلال آليات واضحة تساعد على رضا العملاء، ومن أهمها: التفاعل مع شكاوى العملاء والسعي الحثيث على حل إشكالاتهم، والاستماع إلى مقترحاتهم، فبهذا تضمن تلك المؤسسات التغذية الراجعة الصحيحة.

4. **تحديد الهدف والسعي لتحقيقه:**

إن من أهم أسباب وجود هذه المؤسسات هو محاولة تحسين حياة الفقراء والمحتاجين، وتقديم خدمات مالية نافعة وميسرة لهم، فلا يجوز تحت أي مبرر أن تتحول هذه المؤسسات إلى مؤسسات تنتفع من وراء خدمة هذه الشريحة، سواء من خلال فرض الرسوم الإدارية الباهظة التي تكون أعلى من نسبة الفوائد في المصارف التقليدية.

5. **السيطرة على خلافات المؤسسات مع عملائها في أضيق الدوائر دون اللجوء إلى القضاء إلا للضرورة:**

بالنظر إلى مبالغ القروض في مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية سنجد أنها مبالغ بسيطة، ولا تكاد تكفي لإقامة أصغر مشروع تجاري له عوائد تضمن استمراره، وعلى ضوء ذلك فإن أي تكاليف مالية إضافية تدفع للملاحقة القانونية والقضائية سيؤثر على سير تلك المؤسسات تأثيرا كبيرا، ويؤثر على طالب القرض أيضاً، والأولى في هذه الحالة تقييم حالة العميل، فإن تبين أن العميل من المعسرين فينظر له في الأجل أو يعفى عنه في حال تأكد عجزه عن السداد.

6. **تسهيل الإجراءات الإدارية:**

إنه لمن المهم أن تضع مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية نصب عينها أن شريحة المتقدمين للحصول على خدماتها من ذوي المعرفة البسيطة، وبناءً على هذا الاعتبار فمن المفترض أن تتم عملية وإجراءات التقديم على الخدمات تتسم بالبساطة

والشمولية، فلا تصبح هذه الإجراءات والاستمارات عقبة أمام المتقدمين، وبنفس الوقت لا يجوز تفويت المعلومات الضرورية التي تضمن البيانات اللازمة التي هي معقد التي تساعد على اتخاذ القرارات الصحيحة للمؤسسة.

وكذلك الحال بالنسبة لمراعاة الحالة الاقتصادية للمتقدمين، فهذه الخدمات تعد مقصدا للمحتاجين من الساكنين في المدن أو ضواحيها، أو حتى من الأرياف.

7. الشفافية والوضوح

تنشأ كثير من مؤسسات التمويل الأصغر في ظروف غامضة سواء من حيث الدعم المالي أو من حيث شفافية اللوائح الداخلية والبيانات والحسابات، فهذه البيانات كلها تعتبر محجوبة تماماً عن طالبي خدمات تلك المؤسسات، وليس الأمر مقتصرا على توضيح تلك البيانات لقطاع المستفيدين، بل أيضا للجهات الحكومية والرقابية، وكذلك الجهات الداعمة.

8. التعاون مع المؤسسات العاملة في السوق:

نشأت أغلب مؤسسات التمويل الأصغر في القرن الواحد والعشرين الذي اشتهر أيضا بالتكتلات الاقتصادية بين الدول، والاندماج بين الشركات الكبرى العابرة للقارات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضرورة التعاون بين المؤسسات الصغيرة من باب أولى، بالإضافة إلى ما شهدته الفترة الأخيرة من إغلاق معظم مؤسسات التمويل الأصغر ومراقبة الحسابات المالية والتحويلات البنكية بحجة "محاربة الإرهاب".

الخاتمة:

تعد الأخلاقيات سالفة الذكر من الأسس التي تنظم سير مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية، وفي مقابل ذلك فإن تلك الأسس والأخلاقيات تعد لاغية في ظل عدم وجود البيئة التشريعية والقضائية المناسبة والملائمة لعمل مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية، ومن خلال الواقع فكثير من تلك المؤسسات أغلقت وانتهى بها المطاف إلى الإفلاس بسبب وجودها في بيئة تشريعية غير مناسبة وملائمة.

المقترحات والتوصيات:

بعد العرض الموجز لأهم الأخلاقيات والضوابط للتمويل الأصغر في المؤسسات المالية، نوصي تلك المؤسسات والباحثين بمجموعة من الوصايا، والتي من أهمها:

- الحرص على تحقيق المقاصد الشرعية في التمويل الأصغر.
- الالتزام بالضوابط الشرعية والأخلاق الإسلامية في جميع مراحل التمويل الأصغر.
- تطبيق مبدأ الرحمة في التعامل مع الشرائح الاجتماعية ذات الدخل المادي المتدني.
- السعي لتطوير وسائل التمويل الأصغر، والبحث عن التطبيقات الحديثة، وكذلك محاولة استشراف المستقبل.
- إصلاح البيئة التشريعية، والتعاون مع الجهات المختصة في ذلك.

- البحث عن الشراكات الفعالة والمؤثرة في مجال التمويل الأصغر.
- عدم إغفال الجانب الإعلامي في إشهار محاسن التمويل الأصغر، توعية المجتمع بأهميته.

المراجع:

- يوسف القرضاوي، مقاصد الشريعة المتعلقة بالمال، بحث مقدم للدورة الثامنة عشرة للمجلس – دبلن، جمادى الثانية/ رجب 1429 هـ / يوليو 2008 م.
- تقييم الأداء المؤسسي لمؤسسات التمويل الأصغر في اليمن بالتطبيق على مؤسسات التمويل الأصغر في محافظة صنعاء وعدن وتعز وحضرموت والحديدة في الفترة 1997م – 2006 م. رسالة ماجستير.
- براندسما، جوديت، التمويل الأصغر في البلدان العربية دراسة معدة لصالح صندوق الأمم المتحدة لتنمية رأس المال – الولايات المتحدة الأمريكية – 2004 ص7).
- تنمية التمويل الأصغر الإسلامي التحديات والمبادرات (الورقة الثانية من حوار السياسات) المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب عضو مجموعة البنك الإسلامي للتنمية. ص15.
- التميمي، هاني يحيى. 2012. الأخلاقيات المهنية في مؤسسات التمويل الأصغر الإسلامية. مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية، مج. 2012، ع. 8.